المحاضرة الأولى : الاخفاق المدرسي (التعريف والمفهوم)

مفهوم الإخفاق والفشل المدرسي

موضوع الاخفاق والفشل المدرسي مرتبط ارتباطا شديدا بمعرفة الطالب لمشكلات وصعوبات التعلم.

يشكل الإخفاق الدراسي اهتماما كبيرا عند المربين والمسؤولين وكذا التلاميذ وأوليائهم وذلك لانعكاساته السلبية على الاقتصاد، التربية، والتعليم...

ويعاني قطاع التربية والتعليم في الجزائر من هذه الظاهرة مثل بقية دول العالم، وتظهر الإحصائيات التي تصدرها وزارتي التربية الوطنية والتعليم العالي والبحث العلمي كل سنة خطورة هذه الظاهرة من حيث هي عائقا أمام تحقيق الأهداف الاستراتيجية للسياسة التعليمية التعلمية.

لقد ارتبط مفهوم الإخفاق الدراسي بعدة مصطلحات **مثل التأخر الدراسي، التخلف الدراسي، التعثر الدراسي، الفشل الدراسي، الرسوب والتسرب المدرسي...**

-1لغويا: أخفق يخفق إخفاقا ويقابلها في معاجم اللغة مصدر الفشل وهو الخيبة، وعدم تحقيق ما كان يأمل وهو الضعف والتراخي والكسل، ويعني الفشل في مراده ولم يظفر بحاجته ولم يحقق هدفه، والإخفاق وهو أن تأتي التوقعات عكس ما هو مرجو والإصابة بخيبة الأمل، والوقوع في فخ الإحباط واليأس وهو خلاف النجاح والشيء المضاد له، وهو التراجع والتقهقر وعدم تحقيق الأهداف.

-2اصطلاحا: يمكن القول أنّ حالة الإخفاق الدراسي تظهر عندما لا يستطيع الطالب الوصول إلى المستوى المتوسط للطلاب العاديين في نفس المرحلة العمرية بفعل تأثير مجموعة من العوامل التي قد تكون عقلية أو جسمية أو اجتماعية أو انفعالية....الخ ويطلق هذا المصطلح على النتائج السلبية التي يحصل عليها المتعلم خلال مساره الدراسي سواء كان ذلك عبر الامتحانات الفصلية أو امتحانات الانتقائية الرسمية، فكلما أخفق المتعلم في الحصول على النتائج المنتظرة منه سمي مخفقا.

المحاضرة الثانية والثالثة: مظاهر الاخفاق المدرسي

ومن بين مظاهر الاخفاق المدرسي مايلي:

1 ـ التسرب المدرسي:

- **تعريف التسرب لغة :**جاءت كلمة التسرب بمعاني عديدة فمثلا تقول العرب : تسرب الرجل أي ذهب على وجهه ، وتسرب في البلاد تعني دخلها خفية ، و تسرب الإبل أي أرسلها صاحبها جماعة تلو جماعة .
- **تعريف التسرب المدرسي اصطلاحا:** و المتسرب أو التارك للمدرسة : هو كل تلميذ يغادر (ينقطع عن) المدرسة لسبب من الأسباب(باستثناء الوفاة) قبل نهاية مرحلة من المراحل التعليمية التي يسجل فيها . وعدم الالتحاق بأي مدرسة أخرى.

و يعرف أيضا أنه الخروج من النظام التعليمي إما بصورة مؤقتة أو بشكل نهائي .

وتشير ظاهرة التسرب المدرسي أيضا إلى الامتناع والرفض والعزوف عن الدراسة في وقت ما يزال فيه التلميذ له الحق في متابعة تعليمه، ومن جهة أخرى العزوف الكلي أو عدم الالتحاق بالمؤسسة التعليمية لأسباب ذاتية أو موضوعية مرتبطة بالمستهدف/ التلميذ أو بمحيطه رغم إلحاح الإدارة على جلبه لإكمال تعليمه ومواكبة برامج وزارة التربية والتعليم

2 - الرسوب المدرسي:

1-1 تعريف الرسوب :

1- الرسوب لغة : هو السقوط والغوص الى الأسفل .

2- الرسوب اصطلاحا : هو إخفاق التلميذ في تحقيق النتائج للانتقال والارتقاء إلى المستوى الأعلى ويبقى في نفس المستوى مرة أخرى .

وعرف أيضا بأنه : سنة يقضيها التلميذ في نفس القسم ويؤدي نفس العمل الذي أداه في السنة الماضية بالمدرسة .

وعرف (Kendal) المعيدين أو الراسبين بأنهم: الطلاب الذين يبقون في الصف الدراسي أكثر من سنة.

على أنّ الرسوب قد يكون جزئيا أو كليا، ففقد أن يرسب التلميذ في مادة دراسية أو أكثر أو في امتحان جزئي، دون أن يؤثر ذلك في معدله العام والذي يحكم بواسطته عادة، على ما إذا كان التلميذ قد نجح أم لا. أو أن يرسب في أغلب المواد وفي أغلب الامتحانات الجزئية وبالتالي لا يبلغ مجموع درجاته المعدل العام وفي هذه الحالة يكون الرسوب كليا.
يكون من نتائج الرسوب التكرار، أي إعادة نفس الصف أو القسم من طرف التلميذ لتحصيل نفس المستوى الذي حاول تحصيله بالفعل في السنة المنصرمة، فيتخلف بالتالي هذا التلميذ دراسيا عن زملائه من الناجحين، كما يتخلف عن المستوى التحصيلي الذي كان سيستفيد منه لولا رسوبه أولا وتكراره كنتيجة لذلك، وهكذا نرى مدى الارتباط الوثيق بين الرسوب والتخلف الدراسي. ونحن في هذا المقام نستعملهما في نفس المعنى كما نستعملهما للدلالة على مفهوم آخر وهو الفشل المدرسي.

3- التخلف الدراسي:

التلميذ المتخلف : ماهي مقاييس التلميذ المتخلف ؟ وكيف يعرف التلميذ بأنه متخلفا ؟

يرى (back. ward) (أن التلميذ المتخلف هو المقصر تقصيرا ملحوظا في تحصيله الدراسي بالنسبة للمستوى المنتظر من طفل سوي في مثل عمره)

أما (Burt) فيقول : (إني أطلق كلمة متخلف بمعناها الاصطلاحي على أولئك الذين لا يستطيعون وهم في منتصف السنة الدراسية أن يقوموا بالعمل المطلوب من الصف العملي الذي دونهم مباشرة)

والتخلف الدراسي يكون على شكلين أساسيين :

1- **التخلف العام** : هو الضعف الظاهر لدى التلميذ في جميع المواد الدراسية .

2- **التخلف الخاص** : هو الضعف الظاهر لدى التلميذ في مادة أوعدد قليل من المواد فقط ويعود الضعف الدراسي إلى عوامل متعددة تتفاوت في قوتها وتأثيرها بين فئات المتخلفين دراسيا نتناولها لاحقا.

4- الهدري التربوي :

يتمثل الهدر التربوي في عجز النظام التعليمي عن الاحتفاظ بكافة الطلبة الذين يلتحقون به واستيعابهم لإتمام دراستهم من جهة(التسرب)، وعجزه عن إيصال عدد كبير منهم إلى المستويات التعليمية المرجوة لهم ضمن المدة المحددة(الرسوب). والانتقال بيسر بين صفوف المرحلة التعليمية التي التحقوا بها. ويرتبط بالهدر التربوي عدة مفاهيم مثل- :

أ-الكفاءة التعليمية : يقصد بها الحصول على أكبر عائد ممكن بأقل جهد ومال في أسرع وقت، أي الحصول على أكبر قدر من المخرجات التعليمية باستخدام أدنى حد من المدخلات. ويمكن تحديد معنى آخر هو، نسبة المخرجات إلى المدخلات". وعرّف كومبز الكفاية التعليمية على أنها الفوائد النهائية القصوى التي يحصل عليها التلاميذ والمجتمع من الاستثمارات التعليمية المبكرة". وللكفاءة أربعة جوانب هي: كفاءة داخلية، وكفاءة خارجية، وكفاءة كمية، وكفاءة نوعية. ويمكن الاشارة إلى أن الكفاءة التعليمية تتحقق بتخريج أكبر قدر من المخرجات باستخدام أقل قدر من المدخلات. ويكون الاهدار التربوي أقل ما يمكن حينما تكون معدلات الكفاءة التعليمية أكبر ما يمكن ، وما يحقق ذلك هو عندما تكون نسب الرسوب والتسرب قريبة من الصفر أو تكاد تكون معدومة.

ب- الرسوب والتسرب :هناك علاقة ارتباطيه بين الهدر التربوي والرسوب والتسرب. والرسوب يعني (الإعادة) وعدم ترفيع الطالب للمرحلة التالية. أما التسرب فهو ترك المدرسة قبل مرور فترة الدراسة المقررة.

5- التعثر الدراسي:

التعريف الأول: يمكن تعريف التعثر الدراسي بأولئك التلاميذ الذين يكون تحصيلهم الدراسي أقل من مستوى أقرانهم أو يكون مستواهم الدراسي أقل من نسبة ذكائهم.

التعريف الثاني: ينطلق هذا التعريف من كون التعثر الدراسي متعدد الأسباب، و أن المؤشر الذي يمكن أن يحدد لنا التعثر الدراسي هو التكرار و الرسوب و يعتبر هذا التعريف من أبسط التعاريف للتعثر الدراسي.

التعريف الثالث: ينطلق هذا التعريف من كون المنهاج مكون من مجموعة من الأهداف و الكفايات و أن وظيفة المدرسة تكمن في مساعدة المتعلمين على بلوغ تلك الأهداف مع مراعاة استعداداتهم و قدراتهم. أما التلاميذ الذين يعجزون عن تحقيق تلك الأهداف المسطرة فإنهم يعتبرون متخلفين دراسيا.

محاضرة 4 : أسباب وعوامل الاخفاق المدرسي

سنتطرق إلى أسباب وعوامل الاخفاق المدرسي من خلال معرفة أسباب التسرب والتعثر والرسوب والهدر التربوي والتخلف المدرسي.

1- أسباب التسرب المدرسي:

هناك عوامل كثيرة تتسبب في انقطاع الطالب عن المدرسة وبعض هذه الأسباب متداخلة إذ إنه لا يمكن أن نجزم بأن هذا الطالب ترك المدرسة لسبب بعينه دون الأسباب أو المؤثرات الأخرى التي ساهمت في انقطاعه عن المدرسة. وقد ركزت معظم البحوث والدراسات خلال السنوات الماضية على الأسباب التالية :

أولاً :المنهج الدراسي:

-1طول المنهج.
-2كثرة المواد المقررة وصعوبتها.
-3عدم ارتباط المنهج ببيئة الطالب.
-4عدم تلبية احتياجات الطلاب ومراعاة ميولهم الشخصية.

ثانياً: طرق التدريس:

-1عدم استعمال الوسائل التعليمية التي تجذب الطلاب.
-2اقتصار بعض المعلمين على طريقة تدريس واحدة تفتقر لعنصر التشويق.

-3يعتمد بعض المعلمين على طرق تدريس مملة لا تجذب الطلاب.
-4عدم التزام بعض المعلمين بالخطة الدراسية.

ثالثاً: المعلم:
-1قلة خبرة بعض المعلمين.
-2عدم مراعاة الفروق الفردية للطالب من قبل بعض المعلمين.
-3عدم قدرة بعض المعلمين على فهم مشاكل الطلاب التعليمية والتعامل معها بطريقة صحيحة.
-4استعمال الشدة على الطلاب من قبل بعض المعلمين مما يسبب نفورهم من الدراسة.

رابعاً: الطالب:
-1بعض الطلاب قدراتهم محدودة.
-2البعض من الطلاب ليس عنده الاستعداد للتعلم.
-3عدم المبالاة بأعمال المدرسة وأنظمتها.
-4الانشغال بأعمال أخرى خارج المدرسة.
-5الرسوب المتكرر للطالب.
-6كثرة المغريات في هذا العصر والتي تشد الطالب وتجذبه إليها .

خامساً: المرشد التربوي:
-1عدم المتابعة الدقيقة من المرشد التربوي.
-2القصور في العمل الإرشادي والتوجيه.
-3ضعف التنسيق بين المرشد التربوي وإدارة المدرسة والمنزل.
-4ضعف إعداد وتأهيل بعض المرشدين التربويين.

وهناك جملة من الأسباب الأخرى لظاهرة التسرب المدرسي يمكن تقسيمها إلى أسباب داخلية، أسباب خارجية.

من الأسباب الداخلية :

1- الجو المدرسي :أن الضعف في إدارة المدرسة قد يؤدي إلى استهتار الطالب ولعبه وعدم اهتمامه بمتابعة دروسه, كما أن رفاق السوء لهم تأثير واضح على سلوك الطالب داخل المدرسة مما يفوت عليه كثيرا من الدروس بالمدرسة, ويؤدي بالتالي إلى فشله. ناهيك عن ذاتية التعلم في الطالب نفسه, وضعف المدرس علميا وثقافيا وأخلاقيا, وعدم ملائمة المنهج والامتحانات وازدحام الصفوف , كل هذه العوامل تساعد على التسرب .

2- نقص المعلومات: إن كثيرا من الأسر تمتنع عن تقديم معلومات دقيقة حول حالة الطالب وتصرفاته, مما يؤدي إلى ضعف تحصيله الدراسي وتكرار الرسوب ثم التسرب في النهاية .

3- تعدد الزوجات: أن زواج الأب لأكثر من واحدة أحياناً يخلق خلافات عائلية ,تؤدي إلى تفكك أسري والى عدم الاستقرار لدى الطالب, نتيجة تعاطف الأب مع البيت الأول أو البيت الثاني أو البيت الثالث, فيصبح الطالب مشتت الأفكار شارد الذهن, مما يؤدي إلى تسربه .

4- الطلاق :إن الطلاق له أثره السيئ والخطير في بنية المجتمع, وفي تشتيت الأبناء, وتشردهم النفسي بين الأبوين, والمنعكسات الخطيرة لهذا التشرد تؤدي إلى ضعف التحصيل الدراسي ثم التسرب .

5- التقليد :إن ظاهرة التقليد خطيرة جداً, فكثير من الطلاب تركوا المقاعد الدراسية نتيجة الإهمال واللامبالاة, وانخرطوا في العمل دون وعي, مما أدى على المدى البعيد إلى تحريض زملائهم على التسرب من المدرسة ثم العمل معهم .
-6الزواج من أجنبيات: تترتب على الزواج من أجنبيات آثار اجتماعية وثقافية مختلفة ,منها تأثير ثقافة الأم على الطالب وتأثر الطالب بلغة الأم واعتماد لغتها في التحدث سواء في المنزل أو المدرسة أو الشارع, مما أفقده روح التعليم ومن ثم التسرب.

الأسباب الخارجية لظاهرة التسرب :
أما الأسباب التي تنتج عن عوامل خارجية, فيمكن اختصارها فيما يلي :

1- التقدم في الاتصالات: إن هذا التقدم بلا شك يؤثر على نقل الثقافات من قريب أو بعيد, وبالتالي تشكل خطراً على النسق الثقافي والاجتماعي والقيمي في البلاد. فعلى سبيل المثال لا الحصر نظام (الإنترنت) يتم استخدامه من جانب الشباب بصورة خاطئة وخاصة المعلومات التي تشرد ذهن الطالب, مما يكوّن لديه روح نبذ وكره التعليم ثم التسرب .
-2**القنوات الفضائية:** شهد مطلع التسعينات تزايداً في القنوات الفضائية التلفزيونية الدولية العابرة للحدود عبر الفضاء, وأصبحت جزءاً لا يتجزأ من حياة الفرد, وعلى هذا يشكل وصول هذه القنوات حدثاً اجتماعياً كبيراً قاد إلى تأثيرات واسعة النطاق على الأصعدة السياسية والاجتماعية والنفسية والثقافية. وكان التسرب نتيجة تلك التأثيرات. تلك كانت بعض الأسباب الداخلية والخارجية التي أثرت وفرضت على شباب الدولة تسربهم من الدراسة.

الآثار المترتبة والناجمة عن ظاهرة التسرب المدرسي

هناك العديد من الآثار السلبية التي تترتب على التسرب الدراسي, سواء بالنسبة للطالب المتسرب نفسه, أو بالنسبة إلى المجتمع ككل ومن هذه الآثار :

1- إن الطالب المتسرب أصبح ظاهرة بحكم الملاحظة في المرحلتين الأساسية أو الثانوية.
2- إن الطالب المتسرب في هذه المرحلة هو شبه أمي وغالباً يكون نجاحه في الدور الثاني أو متكرر الرسوب, إذ إن تفكيره قد انصب على العمل, وبالذات العمل العسكري مثل الشرطة والجيش اللذين سرعان ما يهرب منهما.
3- إن أغلبية الطلبة المتسربين, يبقون بدون علم مدة طويلة, فيصبحون عبئا كبيراً على أسرهم وأقربائهم وأصدقائهم والمجتمع .
4- يفقد الطالب المتسرب كثيراً من الأمور مثل المستوى الصحي والعقلي والبدني .
5- يتكون لدى الطالب المتسرب شعور عدم الانتماء وخاصة لوطنه, نتيجة الفشل المتكرر .
6- يظل الطالب المتسرب على بعد تام من القيم الاجتماعية والأخلاقية والدينية .
7- شعور الطالب المتسرب دائما بالقلق والانطواء والنقص والعجز والعزلة نتيجة الحرمان من أمور كثيرة .
8- الشعور دائما بالتشاؤم من الحياة والارتياب في معظم أوقاتها .
9- شعور الطالب المتسرب دائما بتزاحم الأفكار المزعجة والتردد الشاذ والتشكك .
10- يتعرض الطالب المتسرب لكثير من الأمراض وخاصة فقر الدم. ولا بد من وضع برامج علاجية للحد من هذه المشكلة التي تهدد المجتمع في اعز ثرواته, الثروة البشرية,و لابد من اتخاذ إجراءات عملية, ووضع خطط منهجية لتلافي هذه المشكلة والوصول إلى حلول شافية لها .

***تحديد الآثار الناجمة عن هذه الظاهرة على المجتمع**

يعد التسرب المدرسي شكلاً من الإهدار وعائقاً أمام تحقيق النظام التعليمي لأهدافه وخاصة في البلدان النامية. وتبرز آثار تسرب الطلبة في زيادة كلفة التعليم من الناحية الاقتصادية نتيجة لانخفاض القدرات والقوى البشرية المدربة في سوق

العمل التي تعتمد عليها الدولة في تغطية تكاليف ما تنفقه من أموال على قطاع التعليم وبذلك يصبح هناك عجزاً في القوى البشرية المدربة بالإضافة إلى العجز المادي.

المحاضرة 5 و 6: تابع لأسباب الاخفاق المدرسي

2- أسباب الرسوب المدرسي:

لا يمكننا أن نحصي أسباب الرسوب وأن نحصرها لأنها متعددة ومتشعبة وإن كان بعضها متشابها و مشتركا بين فئات التلاميذ في خطوطها العريضة إلا أن الكثير منها يختلف من تلميذ لآخر نظرا لاختلاف العوامل والظروف .

ومن أبرز العوامل المتسببة في الرسوب المدرسي :

- **الاسباب الذاتية** : عدم التركيز في الصف، الخوف، عدم الثقة بالنفس، مشاكل سلوكية، ضعف القدرة الاستيعابية لدى الطفل، كراهية للمدرسة، ضعف أو عجز في النطق والكلام، الصعوبات التعلمية...

- **الاسباب العائلية** : عدم حث الطفل على التعلم والمثابرة في تحصيل علمه، لامبالاة الاهل وإهمالهم في مراقبة الطفل ومساعدته في فروضه المدرسية. إضافة إلى وجود تفكك أسري أو خلافات زوجية كالطلاق او مشادات كلامية، الجهل وقلة المعرفة لأهمية العلم، القسوة والعقاب عند الرسوب او التراجع في المدرسة، الفقر والحالة المعيشية الصعبة...
- **الاسباب المدرسية** : سوء المعاملة في المؤسسة التربوية، عدم مساعدة المعلم لتلاميذه والعمل على حل مشاكلهم، التمييز بين التلاميذ، سلطة إدارية تركز على المنهج بدلا من التلميذ، عدم تشجيع الطلاب...
- **الاسباب الاجتماعية والثقافية** : عدم ارتباط المناهج بحاجات المجتمع وعم تلبية اهتمامات الأطفال وهوايتهم، انخفاض مستوى الاسرة الثقافي والاجتماعي، ضعف صلة المدرسة بالمجتمع...

سبل الحد من هذه الظاهرة:

التوقف عن لوم الطفل أو معاقبته أو توبيخه بشكل مستمر في حال الحصول على علامات منخفضة.
- عدم التفرقة بينه وبين إخوته إذا كان هناك إختلاف في النتائج الدراسية.
- التحدّث مع الطفل وتفهم مشاعره ومناقشة أفكاره ومخاوفه.
- وضع خطة جديدة لدعم الطفل اللازم ومعالجة المعوقات التي حالت بينه وبين النجاح.
- الحرص الدائم على رفع معنويات الطفل وتشجيعه وتحفيزه بكل الطرق الممكنة.
- دعم الطفل النفسي والعاطفي خلال أيام الدراسة حيث يتعرّض الطالب لضغط نفسي كبير.
- تأمين البيئة المناسبة للدراسة ما ينعكس إيجاباً على تحصيل الطالب العلمي.

3- أسباب التخلف:

يمكن تصنيفها إلى:

1-عوامل عقلية:

- انخفاض نسبة الذكاء.
- عدم القدرة على التركيز.
- الشرود والسرَحان.
- بُطْء القراءة.
- صعوبة التعامل مع الأرقام.
- العجز عن التذكُّر والربط بين الأشياء.

- 2عوامل جسميَّة:

•ضَعف البنية.
•الإصابة بأحد الأمراض.
•ضعف السمع.
•ضعف البصر.
•تضخُّم اللوزتين.
•زوائد أنفية.
•صُعُوبة في النُّطق.

- 3عوامل البيئة الاجتماعيَّة:

•انخفاض مستوى دخل الأسرة.
•ضَعف إمكانيات الأسرة.
•عدم توفُّر الجو المناسب للمذاكرة.
•انشغال الطالب بالعمل.
•انخفاض المستوى الثقافي للأسرة.
•فقدان التشجيع.
•تواضع آمال وطموحات الأسرة.
•خلافات أسَرية.
•حرمان أحد الوالدين.
•سلبية المعاملة، واضطراب العلاقة مع الوالدين.
•الصحبة السيئة للرفا

- 4عوامل نفسية:

•اضطراب الانفعالات.
•القلق، الخوف، الخجَل.
•ضَعف الثقة بالنفس.
•كراهية تُجاه المادة.
•كراهية تجاه المدرس أو المدرسة.
•الشعور باليأس والقنوط.
•وساوس.
•تخيُّلات.

-5عوامل شخصية:

•سوء استخدام الوقت وتنظيمه.
•انخفاض الدافعية للتعليم.
•الجهل بطُرق الاستذكار.
•غياب متكرر.
•عدم اهتمام بالواجب.
•تأجيل الدراسة أو الاستذكار لنهاية العام.

-6عوامل مدرسية:

•أسلوب معاملة المدرسين.

- موقف إدارة المدرسة السلبي.
- عدم توفر الكتاب.
- عدم كفاية المدرسين.
- عدم اهتمام المدرس بمشاكل الطلاب.
- عدم القدرة على التكيف مع المدرسة.
- صعوبة وكثرة الواجبات.
- طبيعة الاختبارات.
- عدم اهتمام المدرس بالطالب.
- عدم اهتمام المدرس بالمادة.

المحاضرة 7 : أسباب الهدر التربوي

4- أسباب الهدر التربوي: تعد مشكلة الهدر من أكثر مشكلات النظام التعليمي خطورة, وترجع إلى أسباب عديدة مختلفة ومتداخلة فيما بينها،وتختلف من بلد إلى أخر ومن منطقة إلى أخرى في نفس البلد وذلك لاختلاف ظروف كل مجتمع ومنطقة، وقد يكون من بين أسباب الهدر التربوي مشكلة التسرب والرسوب المدرسيين، لهذا نجد تداخل وتشابه كبير في اسباب هذه المشكلات التربوية، ومن بين أسباب الهدر التربوي مايلي:

العوامل التعليمية: وهي التى ترتبط بعناصر العملية التعليمية المختلفة منها:

- **الإدارة المدرسية :** فسوء التنظيم داخل المدرسة يؤدي إلى عدم استقرار المعلمين داخل المدرسة، وكثرة تنقلاتهم وغيابهم فيكون ذلك عاملاً من عوامل الهدر التربوي.
- **المنهج الدراسي :** إن المناهج الدراسية ومحتوياتها التربوية إذا كانت تركز على الكم لا على الكيف ،ولا ترتبط مع بيئة الطالب ، غير ملبية لاحتياجات الطلاب وغير مراعية لميولهم الشخصية، فأنها ستعمل على خفض إنتاجية التعليم وبالتالي زيادة الهدر التربوي في المدارس .
- **المعلم :** إن المعلم الذي يستطيع أن يوصل المعلومات إلى طلابه, ويساعدهم على حل مشكلاتهم, ويترجم أهداف المنهج إلى مواقف تعليمية بلا شك سوف ينجح طلابه ويقلل من نسبة الهدر التربوي ،أما المعلم الغير ملم بطرائق التدريس،والغير قادر على فهم مشاكل الطلاب التعليمية والتعامل معها بطريقة صحيحة، وعدم مراعاته الفروق الفردية بين الطلاب بالإضافة إلى استعماله الشدة على الطلاب سوف يسبب تنفيرهم من الدراسة وزيادة نسبة الهدر التربوي.
- **الطالب :** إن بعض الطلاب قدراتهم محدودة، والبعض منهم ليس عنده الاستعداد للتعلم،والبعض الأخر يشعر بعدم المبالاة بأعمال المدرسة وأنظمتها،مما يدفعه إلى الغياب المتكرر وعدم الانتظام في الدراسة أو الانشغال بأعمال أخرى خارج المدرسة.
- **المرشد الطلابي:** عدم المتابعة الدقيقة من المرشد الطلابي،و ضعف التنسيق بين المرشد الطلابي وإدارة المدرسة والمنزل،يؤدي إلى القصور في العمل الإرشادي والتوجيه.
- **الامتحانات :** كثرت الامتحانات وصعوبة بعضها ينتج عنه الرسوب المتكرر للطالب وبالتالي ترك المدرسة .

العلاقة بن المنزل و المدرسة : ضعف التعاون بين الأسرة والمدرسة في متابعة التحصيل الدراسي للتلميذ .

العوامل الاجتماعية :

انعدام القيمة الاجتماعية للتعليم عند بعض الأسر مما يؤدي إلى إهمال الأسرة لمتابعة التقدم الدراسي للطالب.

المشاكل العائلية كالطلاق ، موت أحد الوالدين ، أو تعدد الزوجات، أو قسوة المعاملة أو إهمال متابعة الطالب مما يؤدي إلى الهدر التربوي.

العوامل الاقتصادية :

الجانب المادي في البيئة المدرسية : حيث لا تتوفر في كثير من المدارس الشروط التي تزّغب الطلاب في المدرسة ، فالفصول مزدحمة تخلو من مكتبة أو وسائل تعليمية إضافة إلى ذلك فالتكييف في كثير من مدارسنا لا يحظى بالصيانة اللازمة ، أما المعامل والحواسيب فهي لا تفي بالغرض ولا تتناسب مع الأعداد الكثيرة من الطلاب.
انخفاض المستوى الاقتصادي للأسرة، وارتفاع عدد الأطفال في الأسرة الواحدة .

العوامل الثقافية :

- انخفاض المستوى التعليمي للوالدين .
- عدم وعي الأسرة بأهمية التعليم ومواصلة التلميذ للدراسة ،فالأسرة المحرومة من أبسط أشكال الثقافة والتي يشيع فيها الجهل لا توفر لأبنائها جو سليماً يساعدهم على الاستذكار والاستيعاب.

المحاضرة 8 : التعثر الدراسي

أسباب ظاهرة التعثرالدراسي:

أسبـاب ذاتـيــة:

و هي التي لها علاقة بالتلميذ نفسه، كضعف الذكاء أو ضعف الصحة الجسمية، بما في ذلك قصر في الحواس أو التعرض لبعض الأمراض المؤقتة أو المزمنة إضافة إلى علاقة التعثر الدراسي بالصحة النفسية للتلميذ.

عدم ملاءمة المناهج الدراسية: يتفق جل الفاعلين في الحقل التربوي من أساتذة و مؤطرين تربويين و مربين على أن المناهج الدراسية بشكلها الحالي لا تمت للواقع بصلة و لا تحترم الفروق الفردية بين المتعلمين و كذلك الفروق الاجتماعية و السوسيوثقافية كالاختلاف بين تلاميذ الوسط القروي و تلاميذ الوسط الحضري ، مما يكرس ظاهرة التعثر الدراسي و يزيد من حدتها. كما أن كثرة المواد الدراسية و عدم ملاءمة المدة الزمنية المخصصة لها مع حيز الإنجاز الواقعي يرغم المدرس على المرور على هذه المواد مرور الكرام حرصا على التنظيم الزمني، مما يضيع على المتعلمين فرصة التعلم، خصوصا منهم الذين يشكون من ضعف في التحصيل. وعند دراسة تقييم الأساتذة للمواد التي تعرف صعوبة في التعلم نجد إجماعا حول اللغات الأجنبية، حيث أن جل المستجوبين أجمعوا على النقاط التالية

- ✓ صعوبة النطق باللغة الأجنبية لاختلافها عن اللغة الأم.
- ✓ ضعف الوقت المخصص للمادة و كثرة المواد الفرعية المكونة لها.
- ✓ اتسام المادة بالتجريد مما يتناقض مع خصائص المرحلة العمرية لتلاميذ الابتدائي.
- ✓ انعدام الوسائل الديداكتيكية الكفيلة بتدليل الصعوبات كالأشرطة السمعية البصرية و الصور المناسبة للمناهج الجديدة.

الأسـبـاب الأســريــة :

☒ أمية الابوين أي لم يسبق لهم أن تلقوا تعليما من قبل، باستثناء دروس محو الأمية التي لم ترق بعد للمستوى الذي يؤهلهم لتتبع أبنائهم.
☒ الأكبر سنا لا يلتحقون بالمستوى الثانوي الإعدادي حيث تنقطع الفتيات عن الدراسة لبعد الإعدادية (المرحلة المتوسطة) أو لانعدام الجدوى من متابعة الدراسة في نظر بعض الآباء، حيث أن تعلم القراءة و الكتابة كاف في نظرهم .

أما بالنسبة للذكور :

☒ فإن عدم القدرة على مواكبة المستوى الدراسي بالإعدادي .

☒ و ضعف الحالة المادية للأسرة و الرغبة في ولوج سوق الشغل مبكرا تجاوبا مع المتغيرات السيكولوجية الأولى في شخصية المراهق، تبقى من أهم الأسباب التي تعرقل إتمامهم للدراسة الإعدادية.

ينضاف إلى هذه الأسباب التي ذكرناها:

☒ انعدام التتبع الأسري حيث أن علاقته بالدراسة تنقطع بمجرد انتهاء الحصة الدراسية لتستأنف عند ولوجه للفصل الدراسي في الحصة الموالية؛

☒ وترجع أسباب هذه الظاهرة المرضية إلى أمية الآباء و تساهل الأمهات مع الأبناء في ظل الغياب الطويل للآباء و الذي يدوم شهورا متعددة بحكم طبيعة عملهم.

علاقة التعثر الدراسي بنظام التقويم

إن النظام الحالي للتقويم يظلم التلميذ أكثر مما ينصفه و الحقيقة أن الامتحانات في أغلب أنظمة التعليم العربية تتخذ صيغة مباراة وليس صيغة التقويم الحقيقي حيث يفرض عدد المقاعد المتوفرة بالمستوى المقبل تطبيق نظام الكوطا في تحديد عدد الناجحين وكذا في تحديد معدل النجاح الذي يكون في بعض الأحيان أقل من المتوسط. و أمام هذا الواقع الذي لا يخدم مصلحة المجتمع، يبقى التساؤل مشروعا حول مستقبل هذا المتعلم الذي التحق بالمستوى الأعلى في ظل هذه الشروط التي تغذي التعثر الدراسي.

علاقة الظاهرة بالمدرسين

أثبتت استطلاعات الرأي أن جل المدرسين لم يختاروا مهنة التدريس عن اقتناع و حب ممارسة، و إنما لكونها أقصر الطرق إلى التوظيف، و لعدم وجود خيارات أخرى. إن هذه الدراسة تجعلنا نطرح أكثر من سؤال حول مستقبل مجتمع وضع أمانة تعليم و تربية أبنائه على عاتق أناس تقلدوا هذه المسؤولية هربا من شبح البطالة. و إذا أضفنا لهذا الخلل البنيوي في التوجيه حقيقة الظروف الصعبة للممارسة وانعدام الحوافز المادية و المعنوية و المكانة الاجتماعية للمدرسين التي ما فتئت تنحط يوما بعد يوم... تتضح لدينا الرؤية حول أسباب ظاهرة التعثر الدراسي و الهدر المدرسي التي وصلت لنسب مخيفة في الوطن العربي.

أسباب أخرى

إضافة إلى المعيقات السابقة التي تعاني منها مدارسنا، نذكر العوامل التالية:

- ظاهرة الإكتضاض بالوسط الحضري، حيث يصل عدد التلاميذ ببعض الفصول إلى 50 تلميذا.
- انتشار الأقسام المشتركة في الوسط القروي (المغرب مثلا) وما لهذه الظاهرة من أثر سلبي على تحصيل المتعلمين.
- قلة الوسائل التعليمية وعدم ملاءمة المتوفر منها للمناهج الجديدة.
- عدم مواكبة المدارس للتطور التكنولوجي المستمر للمحيط، وعدم استفادتها من التقنيات الحديثة في التدريس في غياب الربط بالكهرباء و الإنترنيت في الأوساط القروية، بل و حتى الحضرية أحيانا.
- انعدام التكوين المستمر للمدرسين وتدبدب المدرسين بين مختلف الطرائق و البيداغوجيات.
- عدم استقرار المدرسين بالعالم القروي وبعد عملهم عن مقر سكناهم و قلة المواصلات مما يؤثر سلبا على مردوديتهم.
- بعد المدرسة عن البيت بالنسبة للتلاميذ وعدم فعالية نظام الإطعام المدرسي.

المحاضرة 9: سوسيولوجيا الفشل الدراسي

- ☒ الفشل المدرسي هو نتاج عوامل ذاتية ترتبط بالفرد وبنيته النفسية وعدم قدرته على التفاعل مع ما تقدمه المدرسة؟
- ☒ أم هو نتاج عملية معقدة يصعب الحسم في أمر علتها ويصعب إرجاعها إلى عوامل محددة، بما هي ظاهرة إنسانية؟
- ☒ وما هي المقاربات الكفيلة بالوقوف على بعض جوانب الظاهرة؟ وكيف يشكل فهم الفشل الدراسي محطة مركزية في فهم الفشل الاجتماعي والمهني؟

تلك بعض الأسئلة التي سنحاول مقاربتها اعتماداً على تصور تمهيدي، قوامه أن الفشل الدراسي باعتباره ظاهرة تربوية إنسانية معقدة، لا يمكن القبض على جميع جوانبها في غياب مقاربة تكاملية، تأخذ بعين الاعتبار مختلف التخصصات، لأن أي مقاربة أحادية البعد لا يمكن إلا أن تحكم على نفسها بالقصور.

المقاربات السوسيولوجية حول الاخفاق المدرسي:

دشن كتاب الورثة لصاحبيه بورديو وباسرون مرحلة جديدة في الأبحاث المتعلقة بالأنظمة التعليمية، فلقد أعاد النظر في المقاربات السائدة آنذاك، والمرتكزة على فهم النظام التربوي من الخارج، حيث أصبحت إشكاليات المدرسة من قبيل عدم تكافؤ الفرص، ومحتوى البرامج، واللغة المستعملة، والعلاقات التربوية، إشكاليات داخلية، وأصبحت بالتالي الأسئلة من مثل ما الميكانيزمات المتحكمة في عدم تكافؤ الفرص وغيرها تجد لها أجوبة في دراسة الميكانيزمات الداخلية للنظام التربوي في أبعاده العلائقية.

1.أطروحة إعادة الإنتاج

تعمل المدرسة حسب **بورديو** و **باسرون** وفق تقسيم المجتمع إلى طبقات، وهي بذلك تكرس وتعيد وتحافظ على الوضع القائم الذي أنتجها، يقول: "كل فعل بيداغوجي هو موضوعياً عنف رمزي، ومنذ البداية أي قبل ولوجهم(الأطفال) المدرسة غير متساويين أمام المدرسة والثقافة؛ أي غير متساويين في الرأسمال الرمزي، باعتباره تلك المهارات اللغوية والقيمية التي تسهل عملية التلاؤم والتواصل التربوي". ويؤدي هذا الوضع إلى إعادة الإنتاج من خلال سعي المدرسة إلى الحفاظ على وظيفتها في إعادة إنتاج المعايير الثقافية واللغوية، وهي حسب بورديو دائماً معايير الطبقة السائدة، إنها أقرب إلى لغة المسيطرين.

ومن أجل توضيح ذلك، عمد **بورديو** إلى نحت معجم مفاهيمي جديد يمكن تلخيصه إلى جانب الرأسمال الرمزي في الايتوس (Ethos) والأبيتوس (Habitus)؛ ويعني الأول ذلك النظام القمعي المستبطن بعمق، الذي يشتغل لصالح الطبقات المسيطرة، ما يفرز الأبيتوس كتهيؤ ذهني واستعداد داخلي لدى الأفراد لقبول السيطرة، وهو ما يسعى النظام التربوي إلى ضمانه من خلال تعسف ثقافي يعيشه طفل الطبقات الدنيا، حسب **بورديو**، بفعل ما تفرضه ثقافة المدرسة من عزلة، فيما يستفيد طفل المسيطرين من الاستمرارية والتكامل بين ثقافته وثقافة المدرسة، ما يسهل للثاني عملية التوافق، ويحرم طفل الطبقات الدنيا من ذلك ليحكم عليه بالاغتراب والانفصال عن ما تقدمه المدرسة من منتوج. كما يؤدي في الوقت نفسه إلى اغترابهم عن الطبيعة وعن ذواتهم، وذلك بفعل اشتغال النظام التربوي خارج الإطار المرجعي الثقافي لطفل الطبقات الدنيا، فيصبح ما تروجه المدرسة شيئاً خارجياً عن الطفل، وليس جزءاً من طبيعته، ما يولد لديه شعوراً بالبؤس وعدم الرضا والفشل المسبق. فطفل الطبقة الدنيا يعيش قطيعة وتناقضاً بين ثقافته وثقافة المدرسة، ومن ثمة فإن توافقه يغدو، حسب(perrenoud) ، معقداً ما دام التوافق مشروطاً بعمليتي الانحلال من الثقاف(déculturation) ، ثم ثانياً بعملية المثاقفة ..(acculturation)

تحصر أطروحة **بورديو** الأهداف الضمنية للمدرسة في خدمة الطبقة المسيطرة، ومن ثمة فإن النجاح المدرسي يكون من نصيب هذه الأخيرة، في حين أن الفشل الدراسي الناتج عن انعدام التكامل بين المدرسة والطبقة الدنيا يكون من نصيب أبنائه.

2 .اتجاه العائق السوسيوثقافي

يعتبر الوسط الأسري عاملاً أساسياً ومسؤولاً عن التوافق الدراسي للطفل، ويقوم هذا الاتجاه على اعتبار أساسه: إن الوسط الأسري المنخفض وسط جاف ومحبط ولا يساعد على النمو، وبالتالي يؤدي إلى معوقات، في حين أن المنحدرين من أوساط محظوظة يستفيدون من هذا العامل، ويعزو هذا الاتجاه اللامساواة والفشل الدراسي إلى أسباب خارجية عن المؤسسة المدرسية.

يقول **بيرنو** (perrenoud) : "نعرف جيداً أن كل المتعلمين ينحدرون من ثقافة هي ثقافة أسرهم وأحيائهم، ومجموعات الانتماء وكذا الطبقات الاجتماعية، إنهم كل حسب انتمائهم، ورثة، غير أن السوق المدرسي (le marché scolaire) يجعل من بعض الإرث يزن ذهباً، في حين يشكل إرث آخر عملة رخيصة. إن الأطفال الذين نموا بين الكتب وفي خضم نقاشات ثقافية لا يحسون بالاغتراب عندما يلجون المدرسة، وهم ليسوا مغتربين، إلا من الأشكال الخاصة للفعل التربوي، وللعلاقات التربوية. أما أولئك الذين ترعرعوا في مساحات جرداء وأمام تلفزيون تفصلهم عنه مسافات، فإنه عليهم قطع مسافات طويلة ما دام لا شيء يتحدث إليهم لا الأشياء ولا الأشخاص ولا الأنشطة."

يلتقي إذن **بيرنو** مع **بورديو** في اعتبار الثقافة المكتسبة في الوسط الأسري محدداً لتوافق الطفل مع محيطه المدرسي الجديد أو عدم توافقه، كما أن الثقافة المدرسية تحدد نوع المكانة الاجتماعية التي يشغلها الفرد، ما يفرز نوعاً من العلاقة المتبادلة بين المدرسة والولوج إلى عالم الشغل. وفي هذا الصدد، يقول **ميشيل لوبرو:** "إن المستوى الاجتماعي للآباء يحدد بدوره المستوى المدرسي والثقافي للأبناء، وهذا الأخير يحدد بدوره المستوى الاجتماعي لهؤلاء أنفسهم: إن الثعبان يعض ذيله."

3.اتجاه الاختلاف أو الثقافوية النسبية:

إن اختلاف الإرث الثقافي بين الفئات الاجتماعية لا يعني أن ما يوجد في الثقافة الشعبية هو عائق، بل إن المدرسة لا تقبله ولا تتعامل معه مفضلة إرث الطبقات الوسطى.

وقد أوضح **بيرتلو** Jean M. Berthelot بـ"أن العائق الثقافي ليس سوى الوجه الآخر لما يسميه بورديو بالإرث الثقافي، لكن كيف تؤثر ثقافة المدرسة النخبوية في إنتاج الفشل الدراسي؟."

يعرف علماء الاجتماع ثقافة النخبة باعتبارها "ثقافة الأشخاص الأكثر تعلماً، إنها ثقافة تنبع من أمهات الكتب التي تؤسس في الأطفال التقليد الثقافي للطبقات الراقية، من قبيل زيارة المسارح، والتردد على المكتبات، وغيرها من الأنشطة."

إن الثقافة بهذا المعنى فعالية إنسانية لا تنفصل عن شروط إنتاجها، ومن ثمة فإن النخبة ليست سوى ثقافة ضمن ثقافات أخرى، وهو ما يطرح إشكالاً معقداً بخصوص إمكانية وضع حدود فاصلة بين الثقافات. إن الأمر صار صعباً على خلاف الماضي، فقد كان بالإمكان وضع حدود فاصلة بين الثقافات، وبالتالي تحديد هذه الثقافة بكونها زراعية أو عمالية أو بدوية، أما الآن، فإن وسائل الإعلام أحرقت الأوراق وأنهت الحدود الفاصلة."

4.اتجاه النموذج النسقي التركيبي

إذا كانت مقاربة إعادة الإنتاج بمختلف تياراتها عمدت إلى دراسة المدرسة باعتبارها علبة سوداء حسب تعبير **(Foquin)**التي من خلالها تتم إعادة الإنتاج الاجتماعي واستمرارية الثقافة المسيطرة، فإن منظري الحراك الاجتماعي اقتصروا على دراسة المدرسة من الخارج، محاولين الحد من حماس الخطاب الأيديولوجي والسياسي الذي ساد خلال السبعينيات و الثمانينيات.

و هكذا يصبح الفشل الدراسي وعدم تكافؤ الفرص الاجتماعية "نتيجة مجموعة معقدة من المحددات التي لا يمكن تصورها منعزلة بعضها عن البعض، وإنما يجب التعامل معها كمجموعة تشكل نسقاً".

يقدم **رايمون بودون** نموذجاً لهذه المقاربة، حيث انطلق من معطيات عديدة حصرها في شكل من البناء العلائقي يتمتع بدرجة مقبولة من العمومية ويستجيب لمعايير التكميم والبساطة، وبنى عليها نموذجاً مركباً للعمل على صيغة فرضيات بسيطة على الشكل التالي: المنشأ العائلي, ومستوى الدراسة، والوضع الاجتماعي.

وانطلاقاً من علاقة العناصر الثلاثة، قدم نموذجاً لمسارات التمدرس، والتراتبية الاجتماعية، فعدم تكافؤ الفرص، حسب **بودون**، تنجم بالضرورة عن التقاء نسقين: نسق المواقع الاجتماعية ونسق المسارات الدراسية، ليخلص إلى أن اللامساواة إذا كانت ناتجة عن التراتبية الاجتماعية والهرمية المدرسية، فإن تركيبهما يزيد ويضاعف من اللامساواة، كما أن تحقيق تكافؤ الفرص التعليمية لا يقضي على اللامساواة الاجتماعية.

و لمعرفة أثر المجتمع التراتبي على تكافؤ الفرص، فإن **بودون** يقدم نموذج أفراد مختلفين في مواقعهم، حيث يعتبر أن موقعهم يجبرهم على القيام باختيارات وقرارات متباينة في مختلف مراحل التوجيه المدرسي، لنحصل من جهة على إنتاج بصورة مبنية، ومن جهة أخرى على ظاهرة إضافية لا استمرار الأفراد في موقعهم. وتبعاً لنفس النموذج التفسيري النسقي المبني على عدد من الظواهر الإحصائية (منافذ الشغل, الدراسة, والمواقع، والمعطيات السوسيولوجية) المولدة لعدم تكافؤ الفرص، يدرج **بودون** تلك العلاقة القائمة بين الهيمنة وبنية الجدارة والاستحقاق في الحراك الاجتماعي؛ أي أن كفاءات الأفراد ناتجة عن منشئهم الاجتماعي المرتفع، في حين أن بنية الاستحقاق تعني أن مستوى الدراسة هو الذي يحدد الموقع الاجتماعي للأفراد.

المحاضرة 10: المقاربة الايكو- نسقية

أ- عوامل الفشل الدراسي:

يحاول **ميشل لوبرو** تفنيد أطروحة **بورديو** التي تجعل من الثقافة المدرسية انتماءً صرفاً للطبقة المسيطرة، ويحاول في الوقت ذاته تبرير الأشكال من منطلق جديد، واعتماداً على مصوغات ايكولوجية؛ أي بفعل التقاء الأفراد مع الواقع الذي ينتج فيه بالضرورة من خلال مواقعهم، وهذه اللقاءات تفرز وقائع نفسية. مواقع وانجذابات وتنافرات تشكل مجتمعة تضديات اجتماعية.

وتبعاً لهذه المقاربة، يحدد **لوبرو** الفشل الدراسي على الشكل التالي: "إن كل فشل مهما كان صاحبه ومهما كان نوعه، يمثل بالضرورة مساساً بصورة الشخص ذاته، غير أن الفشل الدراسي يميل إلى مضاعفة الخسائر. وتزداد خطورة الموقف عندما يتعلق الأمر بأطفال يوجدون في طور ابناء الشخصية؛ أي في وضعية اللاتوازن من وجهة نظر نفسية". ويمضي ميشيل لوبرو في تحديد عوامل الفشل الدراسي تبعاً للوسط الايكولوجي للطفل، وهي:

1 - المحيط العام: ويمكن أن يكون من طبيعة مكانية (جغرافيا) أو زمانياً (تاريخياً)، حيث أصبح من الثابت علمياً أن نوع التجمع السكاني للفرد يؤثر بالضرورة على تطوراته واتجاهاته.

2 - المحيط الخاص: إنه الفضاء المباشر الذي يتموقع فيه الطفل، ويمكن الحديث هنا عن الوسط بأشكاله المختلفة: الأسرة، المدرسة، الوسط المادي والفيزيقي.

3 - تأثير الأفراد: باعتبار سلوكاتهم ومواقفهم أثناء نسج علاقاتهم. إن شخصية الآباء خارج فعل ممارسة التربية تبقى حاسمة، إنها محدد مهم في تطور شخصية الطفل.

ب- الثقافة الفرعية

تقوم الفكرة الأساسية لهذا العامل على وجود ثقافة ضمنية من طبيعة شمولية تقف في وجه الثقافة المكتوبة التي تروجها المدرسة، إنها لا تناقض فقط الثقافة المدرسية المكتوبة، ولكن فعل المقاومة يبقى متبادلاً.

و تحيل أطروحة مقاومة الثقافة الفرعية للثقافة المدرسية على النظرية الوظيفية كما نشأت وتطورت مع **بارسونز** و**ميرتون** وصولاً إلى **ماسغرايف**، فقد حصر هذا الأخير وظيفة النظام التربوي في: الوظيفة المحافظة، الوظيفة التجديدية، الوظيفة السياسية، وظيفة الانتقاء الاجتماعي، الوظيفة الاقتصادية.

غير أن ما يهمنا هنا هو تلك الوظائف المرتبطة بالتجديد والانتقاء، وهي الوظائف التي عبرها يتم تمرير الثقافة، غير أن **ماسغرايف**، وعلى الرغم من إدراجه ضمن التيار الوظيفي، فإنه يطرح تساؤلاً خاصاً مفاده: هل ينقل النظام التربوي ثقافة واحدة أم ثقافات؟ وكيف تنتج الثقافة؟ هل من المجتمع، أم من التاريخ، أم من الدين، أم من عمليات التفاعل بين الأفراد الذين يجدون أنفسهم مضطرين للدخول في مختلف أشكال الصراع أو التوافق؟ هل يكتسب الإنسان القيم والعادات والتقاليد من مؤسسة المدرسة أم أنه ينتجها؟ وحين إنتاجها، هل يكتفي بنسخها أم يضيف عليها ويعدلها؟ وهل تأتي الثقافة فقط من المدرسة أم من القيم والعادات السائدة؟

تحيل هذه الأسئلة على إشكاليات شغلت الكثير من الباحثين، وأثارت على امتداد تاريخ الفلسفة والعلوم الإنسانية ردود فعل مختلفة.

إن عملية تكوين الثقافة؛ سواء في شقها النظامي الذي تسهر عليه المؤسسات الرسمية، أم في شقها الشعبي الذي ينبثق من تفاعل الأفراد مع محيطهم، تندرج ضمن ما يمكن تسميته تفاعل الأفراد مع بيئتهم واستجاباتهم للحاجات المتجددة. الثقافة والمجتمع والتاريخ والمدرسة ومؤسسات الإعلام ووسائل الاتصال عناوين بارزة لعلاقة جدلية تندرج فيها عمليات تكوين الشخصية الإنسانية في إطار علاقة شرطية، لا تشكل فيها ثقافة المدرسة سوى لحظة، وعلى الرغم من فاعليتها، فإنها تبقى مجرد لحظة من لحظات التكوين الثقافي.

ج- مقاومة المدرسة

في مواجهتهم للمدرسة وإجباريتها، يختلف رد فعل الفئات الاجتماعية، حيث تتبنى الطبقات العليا مواقف تمكنها من الاستفادة من وضعيتها، في حين تعمد الطبقات الدنيا إلى مقاومة شديدة. ولتحليل هذه الوضعية، يستعير **ميشيل لوبرو** مفاهيم علم النفس الاجتماعي، معتبراً بأنه "إذا اعتبرنا الطبقة الشغيلة التي تسمى كذلك يدوية تتوفر على ثقافة فرعية داخل الثقافة الكلية للمجتمع، فإن كونها يدوية يجعلها تطور بعض السلوكات والقيم والأحاسيس الفنية والإيجابية، لكنها بالمقابل تحاول الانغلاق كغيرها من الثقافات الأخرى".

إن الميكانيزم السيكواجتماعي المفسر لذلك سهل الفهم حسب **لوبرو:** "كل شيء سيكون على أحسن ما يرام إذا اكتفى أفراد ثقافة معينة بتطوير الأنشطة ومواجهة المشاكل المرتبطة بهذه الثقافة، لكن للأسف! يقول لوبرو، فإن الإنسان مطالب بمواجهة المشاكل التي تخص الإنسانية جمعاء".

المدرسة بلغة **بورديو** حقل وميدان للعب، يخضع لميزان القوى، حيث المهيمنون يسعون باستمرار إلى احتكار التفوق، والمهيمن عليهم يستسلمون ويرضخون بنوع من العفوية دون أن يعني ذلك نسيان حقيقة الوضع القائم على وجود مهيمنين.
التفكير إذن في المدرسة باعتبارها حقلاً يعني على الصعيدين النظري والتطبيقي اعتبارها فضاء لمختلف أنماط الإنتاج الفكري ومعطيات البنية الاجتماعية بكل أبعادها الاقتصادية والثقافية والبيئية. وفي هذا السياق، شكلت أطروحات بيير بورديو مع جون كلود باسرون تشريحاً جديداً للأنظمة التربوية من خلال تبيان أهمية الموروث الثقافي والوضع المادي

للطلاب في تحديد نسب النجاح وانتشار عدم تكافؤ الفرص، فعلى الرغم من كل الشعارات التي يمكن رفعها حول ديمقراطية المدرسة، وضمان التعليم للجميع، فإن ميكانيزمات النظام التربوي تفضي إلى تشجيع الاستعدادات المسبقة لدى أبناء المدرسة والمنسجمة مع توجهاتها. وفي هذا السياق، أفادت بحوث ميدانية أجراها الثنائي بورديو وباسرون أن حظوظ أبناء الأطر العالية في فرنسا في ولوج الجامعة، تفوق ثمانين مرة أبناء الفلاحين والأجراء والعمال.

د- انغلاق الوسط

إن العوامل الرئيسية للفشل الدراسي -يقول **لوبرو**- تتمثل في انغلاق الوسط، والتي تصادفنا أينما ذهبنا في مجتمع كمجتمعنا تهيمن فيه الثقافة المكتوبة، وبالتالي فإن أي محاولة للوقوف ضدها يؤدي إلى الإقصاء والتهميش.

إن الأسرة ضحية هذه الشروط ذات السمة الايكولوجية. تعيد إنتاج هذه الظروف نفسها التي تؤثر بدورها على أطفالهم، فيضطر الأطفال إلى تبني قيم مماثلة لقيم الآباء، بالتالي سيقومون باختيارات مماثلة، كذلك لقيم أبائهم، الأمر الذي سيجعلهم يندمجون في النسيج الاجتماعي بالكيفية نفسها.

غير أن هذه النتيجة -**يقول لوبرو**- ليست حتمية، حيث يمكن للأطفال الوقوع تحت تأثيرات أخرى توجههم بطريقة مخالفة. إن الأطفال لا يرثون الوضع الاجتماعي لآبائهم، ولا ثقافتهم، إنهم يتعرضون فقط للشروط نفسها التي تجعلهم يقومون بالاختيارات نفسها، ونظرياً يمكنهم القيام باختيار آخر إذا كانوا يتوفرون على قيم أخرى في حدود هامش الحركة التي يوفرها المجتمع. ومع ذلك، فإن التأثير على الأطفال يتم داخل البيت ومع الأم أو الأب، حيث يبدو الانغلاق أكثر وضوحاً.

والحاصل أن الفشل الدراسي ظاهرة إنسانية لا يمكن لأي مقاربة أحادية البعد أن تدعي لنفسها القدرة على الإحاطة بجوانبها كافة، وإذا كانت هذه الورقة قد ركزت على البعد الثقافي للظاهرة، فإنها تبقى محكومة بالقصور. صحيح أن البعد الثقافي كما تقاربه مختلف النظريات الصراعية يبقى مهماً إلا أنه ليس سوى معطى ضمن معطيات أخرى، والإلمام بها يقتضي مقاربة تكاملية تستعير عتادها النظري التطبيقي من مختلف التخصصات.